[457] فيه سمك مالح فشرب الاشتر ماء كثيرا فثقل حاله فوصف له العسل وقال ان من أمره كذا وكذا، وأتاه بشربة من عسل قد جعل فيه سما فسقاها إياه فتناول منه شيئا قليلا فما استقر في جوفه حتى تلف رحمه ا، فأتى من كان معه على ذلك الرجل وأصحابه وقتلوهم عن آخرهم، ولما بلغ معاوية خبر موت الأشتر قام خطيبا ثم قال: أما بعد فانه كان لعلي يمينان فقطعت إحداهما بصفين " يعني عمار بن ياسر "، وقطعت الأخرى اليوم " يعني الأشتر "، ألا ان جندا من عسل تقتل أعداءنا. ولما بلغ أمير المؤمنين " ع " خبر مالك قال: إنا وإنا إليه راجعون رحم ا مالكا مالك وما مالك وهل موجود مثل ذلك لو كان من حديد لكان فندا أو من حجر لكان صلدا وا لقد كان لي مالك مثل ما كنت لرسول ا، على مثله فلتبك البواكي، ثم جرت دموعه على خديه حتى ابتلت كريمته الشريفة. ثم كتب " ع " الى محمد بن أبي بكر وكان بلغه انه شق عليه عزله بالأشتر: بسم ا الرحمن الرحيم - من عبد ا علي أمير المؤمنين الى محمد بن أبي بكر، أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر الى عملك واني لم افعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازديادا لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤنة واعجب اليك ولاية ان الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا رجلا ناصحا وعلى عدونا شديدا فرحمه ا فلقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون أولاه ا رضوانه وضاعف الثواب له فاصحر لعدوك وأمض على بصيرتك وشمر لحرب من حاربك وادع الى سبيل ربك بالحكمة واكثر الاستعانة با يكفيك ما اهمك ويعينك على ما نزل بك إن شاء ا. فلما ورد كتاب أمير المؤمنين " ع " على محمد بن أبي بكر جزع على مالك جزعا شديدا وقال رحم ا مالكا لقد كان سيفنا الذي نسطو به على عدونا، ثم كتب الى أمير المؤمنين " ع ": بسم ا الرحمن الرحيم الى عبد ا علي أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر، السلام على أمير المؤمنين ورحمة ا وبركاته اما بعد فقد انتهى الي كتابك وفهمته وليس أحد من الناس أرضى برأي أمير المؤمنين ولا اجهد